سياحة في اقليمَي الخرُّوب والشوف

بقلم حضرة الخوري ابراهيم حرفوش المرسل اللبناني

طلب الينا بعض الاصحاب الذين طالعوا مقالتنا « سياحة اسقفيَّة في بلاد بشارة » التي نشرناها على صفحات المشرق ان ندوّن لهم خلاصة ما جرى لنا إثر تجوُّلنا في ابرشية صيدا بامر سيادة رئيس اساقفتها الجليل المطران بولس بصبوص لتفقُّد شؤون ابنائهِ الروحيين في اقليمي الخرُّوب والشوف من اواسط شباط ١٩١٠ الى منتصف السنة الجارية فاجبنا اجابة طلبهم مع اعتقادنا بعجزنا عن ايفاء الموضوع حقَّهُ من البحث المدقّق فلنا الامل بانَّهم يغضُّون النظر عن قصورنا

١ من بيروت الى المِيَّة

كان سيرنا من بيروت في اصيل اليوم التاسع من شباط ١٩١٠ قاصدين قرى اقليم الخروب الواقع بين نهر الدامور المعروف عند الاقدمين بتامورس (Tamyras) شمالًا ونهر الاولى (Bostrenus) جنوباً فركبنا العربة متوجهين الى قرية المِيَّة وكان المطر في ذلك اليوم يتهطَّل مدرارًا وتجري مياههُ كالسيول وكان حوذيُّنا يحثُّ الخيل بالسوط والزجر لتجري في طريق كثرت اوحالها وتبعثرت حصاها وتعاظمت حفرها وما زلنا نتقلَّب ذات اليمين وذات الشمال الى ان ادركنا صحراء الشويفات فخفَّ العناء وسهلت الطريق نوعاً وانقطع المطر بغتة ولمَّا اجتزنا الصحراء ألوت بنا العربة نحو سيف البحر فكنا نسمع عن يمينا زمجرة الامواج تُصادع الصخور المجاورة لطريق العربة ونشاهد على شمالنا انجاد لبنان وعلى قممهِ الجميلة ومنحدراتهِ الفتَّانة قرى مقاطعتي الغرب والشحَّار فتذكَّرنا ربوعاً اسعدنا الحظ بالتجول فيها ايام أوفدنا لهذا الغرض الطيِّب الذكر سيادة المطران يوسف الدبس وحيَّنا عن بعدٍ ذاك الشعب المبارك الذي كنَّا انسنا منهُ شوقاً عظيماً لاستماع كلمة الله

وبعد ساعتين ونيف عن بيروت وقفت بنا العربة امام خان خلده قصد الاستراحة فجُلنا بين بقايا العمد المضلعة والنواويس القديمة الشاهدة على مكانة خلده ايام كانت عامرة ولم نتمكَّن من المكث طويلًا اذ نفحت إعصار فنشص الغيم وارتحت

السماء فأسرعنا الى العربة التي اخذت تصدو بنا نحو الجيَّة ولانهيال الامطار لم يعد بوسعنا تسريح النظر في المناظر التي تتوالى على المسافر فعبرنا جسر الدامور وكان النهر تأطَّم وارتفعت امواجهُ المتكرة حاملةً معها جذور الاشجار التي اقتلعتها في ممرّها وبعد نصف ساعة تقريباً بلغنا الجيَّة ووقفت بنا العربة وسط حديقة غناء بين صفَّين من شجر الاوكاليبتس فترجَّلنا ودخلنا دارًا قد اكتنفتها تلك الاشجار والقت عليها من ظلالها جلباباً وابدرَنا بالتحيَّة صاحب تلك الدار الفاضل عبدالله افندي البستاني شقيق المرحوم الابرّ الخوري يوسف البستاني كاتب اسرار ابرشيَّة بيروت فتلقَّانا مع عائلتهِ الكريمة بالبشر وانزلنا على الرحب والسعة

(الجيَّة) على ما يقال اسم حديث زعموا انَّ معناه التنانة اشارةً الى التنانة التي انبعثت من الحوت الذي كان ابتلع يونان النبي فقذف بهِ على ذاك الشاطئ ومات فأنتن ولم نجد لهذا التأويل سنداً. وقريباً من الجيَّة مضيق ورد ذكرهُ في تاريخ الصليبيين (١ فدعوهُ «Passus-Daugiæ»

وعلى بعد بعض امتار من بيت عبدالله افندي البستاني مضيفنا بناية اسلاميَّة قديمة تدعى نبي يونس قد غمرتها كثبان الرمال التي توارادت عليها من البحر ولا يرى منها سوى قبَّتها البيضاء. فدخلناها فاذا هي اشبه بمنارة لا منفذ لها الآن وارضها اوطأ من عرصة الدار الخارجيَّة وفي رأس احد عواميدها اكليل عمود قديم منقول من بنايات المدينة القديمة وهو لشبهٍ بالطرز القورنتي: ويقوم بخدمة المقام شيخ من قرية برجا التي تبعد قليلًا عن الجيَّة وحول المقام بعض الابنية لاستقبال الزوَّار

اما اسم الجيَّة القديم فقيل انهُ بورفيريا وبهذا الاسم سُميت ايضاً حيفا ويظهر انَّها لعبت دورًا مهمًّا في الاجيال السالفة ايام الفونيقيين وخلفاء الاسكندر والرومان نظرًا لحسن موقعها على البحر وخصب السهول المجاورة لها وتُرى حتَّى الآن بقايا رمم ونواويس قديمة متقنة بهيئة اكتشف عليها مؤخرًا الغطة تحت الرمال بينما كانوا يشتغلون في املاك سعيد بك البستاني وقد رأينا آثار فسيفساء معبد نصرانيّ صليبيّ

ومما رواهُ لنا المؤرخون عن الجيَّة في ايام الافرنج ان المسلمين سلبوا خيل ملك قبرس هنري سنة ١٢٨٣ وهي تربع في سهل الجية فانتشب القتال بينهم وبين حامية

١) اطلب كتاب راي (Ray: *Les Colonie: Franques de Syrie*, p. 519)

صيدا. وسكّان الجيّة هم المسلمون الذين يقطنون بالقرب من بني يونس وعددهم يبلغ ٣٥ متكلفاً واما الموارنة فيقطنون في القصبة وقصوبا وحارة بيت ماضي (١ وعددهم عبارة عن ١٩٠ متكلفاً. وفي الوسط بين حارة بيت ماضي والقصبة كنيسة سيدة النجمة التي بناها الامير بشير الكبير لشركائه اذ كانت الجيّة من املاك الامير الخاصة فوقفت ميراثاً لابنته الست سعدى ولعقيلته الست حسن جهان الجركسيّة وتدعى دارها اليوم بحارة الست وكان كاهن من عائلة حبيش المشايخ اسمهُ استفانوس يخدم دار الست والموارنة حتى ١٨٦٢. وهذا عرفناه من تاريخ منقوش على ضريح الكاهن داخل الكنيسة نوردهُ بحروفهِ:

من الكرام الحبيشيين منتقل في ثوب كهنوتهِ بالرب قد رقدا
نادى على رسم تاريخ برحلتهِ اني سميُّ استفانوس اول الشهدا

ومع توالي الزمان اشترى الموارنة والمسلمون قسماً من الجيّة من مالكيها وهم قوم يحبون الشغل اليدوي ويرتزقون من الزراعة ومحاصيلهم الحنطة والحرير واثمار البساتين التي غرسوها من امد قريب واستنبطوا لوانها التواعير. والجيّة تابعة اقليم الخروب (٢ من قائمقاميّة الشوف والمدير من المسلمين مركزهُ قرية شحيم على الغالب

ويتبع خورنيّة الجيّة الموارنة الناطقون قرية بعاصير مع المسلمين في حي خاص بهم. وبعاصير قائمة على اكمة بديعة تطلّ على البحر وهي شرقي الجيّة تبعد عنها ساعة تقريباً وفيها آثار مدافن قديمة ومعبد نرجح كونهُ لعشتروت ولعلّ البعض يروق لهم اشتقاق اسمها من حصص حصصوا اي بيت عشتروت لما لم يشتقّوها من العصر لمعاصرها

ولمّا كان غرضنا الاساسي من هذه الرحلة ارشاد النفوس قياماً بما انتُدبنا اليهِ القينا المواعظ في كنيسة النجمة منذ صباح اليوم التاسع من شباط الى العشرين منهُ

---

١) نسبة الى ماضي البشاني جدهم الاول

٢) هذه التسمية نظنّها مأخوذة من شجر الخرّوب المنتشر في هذا الاقليم بكثرة ومما يحار لهُ الفكر ان هذا الاقليم الحقير الآن كان نبا مغى آهلاً بالسكّان وفيهِ آثار بنايات فخيمة كما سترى في مطالعة مقالتنا هذه وفي ذلك لعبرة فالارض كالسكان تشقى وتسعد. ويظهر ان العنصر الاسلامي كان قوياً في ايام الافرنج في اقليم الخرّوب وكثيراً ما قاصوا بالسيوف وتداعوا بالرماح وأحيط بالصليبيين في مواقع عديدة

فانسنا من الجميع اقبالاً ورغبة شديدة في طلب النفس. وانقطع حضرة الاب منصور سلامه الى ارشاد موارنة بماصير اذ كان يصعب عليهم ان يأتوا الجيّة لحضور للواعظ والعَوْد الى مساكنهم كل يوم

٢ من الجيّة الى الرميلة

في ٢٠ من شباط وفد علينا ابوان فاضلان من آباء الرهبانيّة اللبنانيّة البلديّة لمؤازرتنا في هذه الرسالة فغادرنا الجيّة في هذا اليوم قاصدين الرميلة وعلمان القائمتين غربيّ نهر الأولى على مسافة نحو ١٢ كيلومترًا من الجيّة. ولمّا قاربنا الرميلة تخلّف الاب منصور عني مستصحباً احد الابوين الى علمان فواصلتُ طريقي مع حضرة الاب الاخر الى الرميلة

(الرُّميلة) تصغير الرملة واحدة الرمل موقعها على أكمة جميلة على علو ١٣٨ مترًا فوق البحر تقريباً وهي بين علمان جنوباً وسبلين شمالاً والجميليّة شرقاً والبحر غرباً تتوسّط بينه وبينها سهول رملية غليظة فسيحة قد استنبط فيها سكانُ الرميلة الآبار وجهّزوا النواعير ونصبوا التوت وبعضها يتمرج فيها الزرع بخضرته وكان اذ ذاك قد اشتدّ وتقومت ساقهُ ونوّر النبت على جوانب تلك الربى والسهول فكساها ثوباً قشيباً منسّماً بشقائق النعمان والاقحوان الباسم الثغر والبنفسج المنتشر العرف

وقرية الرميلة من املاك آل جانبلاط المشائخ الدروز (١ وسكّانها شركاؤهم من الموارنة والروم الكاثوليك يبلغ عددهم ٣٥٠ نسمة والثلث من الروم الكاثوليك ولضيق ذات يدهم هاجر اكثرهم الى امركا انتجاعاً للرزق عملاً بالقول المشهور:

وليس الرزق يأتي بالتمنّي ولكن ألقِ دَلْوَك في الدلاء
تجئكَ بمائها يومًا ويومًا تجيئكَ بجَأْة وقليل ماء

وحالة المهاجرين من هذه الطبقة معروفة في امركا

والكنيسة حقيرة على اسم مار انطونيوس واكثر حجارتها الضخمة مأخوذة من

١) ان اقليم الخروب كان من اقطاعات التنوخيين والمنيين بعد اخلاء الصليبيين ثم صار اقطاعهُ لآل جانبلاط نحو سنة ١٧١٢ وهو من املاكهم كسبلين وعلمان والمغيرية والبرجين وغيرها وقد بيع قسم من هذه الاملاك

أنقاض بناية فخيمة قديمة اكتشفها بالحفر هناك من بضع سنوات سعادة مكريدي بك من نظار المتحف السلطاني. وهاك وصف البناية المرما اليها

في منتصف القرية الحقيرة شمالي العرصة التي اجرى فيها حمدي بك حفرياته بقايا آثار جليلة ادركها الدهر واصبح سماد القرية زينتها بعد ان كان ابناء آدم يتبركون منها ويعفرون الجبين بترابها. ولم تبق الايام على غير مدخلها او رتاجها الفخيم القائم لجهة الشمال وهو مؤلف من اربعة حجار فقط: حجر واحد للقبة العليا وطولهُ ثلاثة امتار و٥٥ سنتي في عرض متر واحد وعلوهُ ١م و١٠س وعلى جانبي المدخل حجران آخران والمكشوف منهما طول مترين فقط والباقي مطمور وعرض الجوانب ١م١٠س وعلى كل منهما صورة ناتئة قد عفت صروف الايام رسومها ويرجح ان الصورتين كانتا تمثلان ذكرًا وانثى اما القبة السفلى او موطئ الرتاج فغير ظاهر للعيان. وعلى بعد مترين من هذا الرتاج آثار ثلاثة ابواب ونظن انها بقايا ابواب الرواق الذي كان قائمًا امام الرتاج العظيم

اما ماذا كانت هذه البناية الفخيمة ذات الرتاج البديع. فقد أرتج ذلك علينا لدى رؤيتنا البناء ولا نعلم أنشر مكريدي بك في احدى المجلات رأيهُ في ذلك. اما المقالع التي استخرجت منها هذه الحجارة الضخمة فآثارها ظاهرة للعيان في شرقي القرية وشمالها ولأول وهلة يظهر انَّ طريقة قلع الحجارة عند الاقدمين كانت نظاميَّة هندسيَّة تختلف جدًا عن طريقتنا اليوم

اما العواميد العظيمة التي كانت تسند تلك البناية او تزينها فاكثرها مطروح على الحضيض عند الجُنَيْزة جنوبي البناء. وعلى طريق هذه العين المذكورة رأينا آثار فسيفساء قد انهال التراب عليها بفعل الزمان وهزات الزلازل التي اودت بالبناء وبما يجاورهُ. وقد عثرنا على مسكوكات كثيرة في عدادها مسكوكتان يرتقي عهدهما الى مئتي سنة قبل المسيح عرضناهما على حضرة الاب سبستيان رنوفال مدرس الاثريات في كليَّة القديس يوسف

وعلى بعد عشر دقائق من الرميلة شرقيها آثار مدافن قديمة في محل يدعى عريض البطم. وبالقرب منهُ محل آخر شمالًا يدعى عريض الرأس آثار عمد ضخمة متحطمة وآثار

آبار عديدة ونواويس فكل ذلك يدلنا على ما كانت عليه تلك الربوع من الحضارة خصوصاً ايام سؤدد صيدا.

اما حالة الشعب في الرميلة وغيرها من اقليم الخروب فتدعو الى الاسف ويحق لراعي النفوس ان يردد قول المخلص: انني مشفق على هذا الشعب المسكين. واذا كسرنا لهم خبز البنين قبلوه بالشكر وطلبوا الينا ان نعود اليهم بعد ان ودّعونا باكين

وقبل ان نغادر الرميلة اتفق لنا ان زرنا في سهلها القائم على الشاطئ جناب الشيخ الجليل شاهين نقولا القزي الكسرواني الاصل وهو والد الياس افندي شاهين القزي. فدلنا على اثر وقع تحت نظره عند حفره تاعورة لري املاكه المجاورة لشاطئ البحر. فتوجهنا الى المحل لنظره فاذا هناك خندق طويل على عمق خمسة امتار تقريباً من سطح الارض المرملة وفيه رُفات امرات غُيّبوا في ذاك اللحد جنباً الى جنب. وفي طرف هذا الخندق نصبٌ من الرخام البرّي عليه رسم صليب وبين العظام آثار قسيّ ورماح وسيوف أفناها الصدأ والباقي عظام وجماجم تُرى اضراسها سالمةً مما يدل على ان القتلى هم رجال حرب وافتهم المنية في ساحة الوغى في شرخ الشباب فخدّ لهم رفاقهم هذا المضجع جنباً الى جنب وغيّبوا جثثهم في الرجم فطمرت مع توالي الزمان اجداثهم الرمالُ المتدفقة من البحر فظهرت الان صدفة

من الرميلة الى المغنية

وشوقيّ الرميلة قريةٌ يسكنها الموارنة والمسلمون تدعى المغيريّة فعزمنا بادئ بدء ان نذهب اليها توًّا من الرميلة ثم بدا لنا ان نعود على الاعقاب نحو الشمال على طريق البحر لزيارة الموارنة القاطنين مزرعة فوق شاطئ البحر تدعى جدرا وهي في منتصف الطريق بين الحيّة والرُميلة وارجأنا تفقُّد موارنة المغيريّة الى وقت آخر. وهناك فارقنا حضرة الاب منصور سلامه فاتبع مع رفيقه خطة القرى القائمة على ضفّة نهر الاولى الشماليّة فبعد علمان انتقل الى البرغوثية والجليلية وتعاهدنا ان نلتقي في دير القمر في جمعة الآلام او قبلهُ باسبوع

برحنا من ثم الرميلة صباح اليوم ٢٦ من شباط وشيّعنا ذاك الشعب المبارك حتى خارج قريتهم فتألمنا من صميم الفؤاد الى راعي اسرائيل الذي لا ينام ان يسهر على رعيته ويحفظ في قلبها خمير تعليمه المقدّس الذي اصلح به فساد العالم الوثني. ولم يمض

علينا نصف ساعة حتّى بلغنا دار الياس افندي شاهين فتولا القزي الكسرواني المنبت وهو وجيه عائلته المنتشرة في جدرا والمعنية . واصل هذه العائلة من البوار في كسروان فقدم فتولا جدّهم الى قرية المعنية في اقليم الخروب ومن بضع سنوات هجر الياس افندي المعنيّة مع والده الشيخ شاهين الى محل بالقرب من جدرا على سيف البحر يدعى وادي الزينه وبنى لهُ فيهِ دارًا فسيحة . وهذا الوادي تبتدئ تشعُّباتهُ من قرية شحيم على بعد خمس ساعات وينتهي الى البحر فيتكوَّن منهُ ابَّان تساقط الامطار سيلٌ رهيب يملأه الى جانبيهِ

فلمَّا علم الياس افندي بقدومنا خفَّ لملتقانا واشار علينا بالعدول عن التوجُّه لجدرا القائمة فوق دارهِ على مسافة ساعة اذ لا كنيسة في القرية وانهُ بطيبة خاطر يفرغ لنا محلًّا في بيتهِ لإقامة المراسيم الدينيَّة وسيرعز الى اقاربهِ في جدرا ان يأتوا لايفاء واجباتهم لاستماع الارشادات الخلاصيَّة فشكرنا لهُ تلطُّفهُ وتدينهُ وبتنا في دارهِ حتى غرَّة آذار وحفظنا لهذا البيت الكريم ذكرًا طيباً

وبعد ان انهينا مهمتنا الروحيَّة في وادي الزينه غادرناها في غرَّة آذار عندما لاحت حواجب الصبح فسرنا على الاقدام ووجهتُنا قرية المعنية

فألفينا منجدين في طريق حزن على يميننا مخفر العسكر اللبناني وعلى شمالنا تعاريج وادي الزينه وبينا نحن سائرون اذا بالغزالة تبدَّت من وراء الجبل يخفرها جمال الطبيعة . وكان المطر الوسمي الذي سقط هذه السنة باكرًا دبَّج الارض فكنا نسير والزرع على يميننا وشمالنا يرفُّ عليها نسيم السحر فتترنَّح متمايلة والاطيار تغرّد على افنان شجر الخروب والعضاه . وكثيرًا ما مررنا على طنافس من الازهار متنوعة الاشكال والالوان اشبه بالديباج وعليها الطل كاللؤلؤ والجمان المنثور

تخال الحباب المرتمي فوق نَوْرها الى سوق اعلاها جمانًا مبذَّرا

وكنا تارة نُحزن وتارة نسهل الى ان ظهر امامنا بعد نصف ساعة في منفسح من الارض رَبْع دارس ترعى بين مبانيهِ الصماء شُلَّةٌ من المعز والضان :

والدار قفرٌ والرسوم كما قد خطَّ في ظهر الاديم قلمْ

فسألنا الراعي عن اسم الخربة فاذا هي خربة الفلاطية فمجنا عليها وشاهدنا فيها آبار كثيرة وبعضها حتى الان يصلح لاستيعاب الماء وهو ممتلئ حتى فوهتهِ . وهذه الآبار

كلها على طرز واحد فوهتها بيضوية الشكل ولبسعة . وآثار اساسات المساكن وتقاطيعها ظاهرة للعيان وقد فعلت التقلبات الجوية بالحجارة حتى اصبح اكثرها ذات ثقوب منخورة كالقربال وتشغل هذه الرمم فسحة واسعة ما يدلُّ على انَّ هناك كانت دسكرة كبيرة

والى شمالي هذه الاخربة على مقربة منها اكمة مستديرة الشكل تدعى قلعة الحصن تعلو عن البحر نحو ١٥٠ مترًا يحدُّها شمالًا وشرقًا وادي الزينه العميق هناك والبحر في غربيها واماميها ساحة بديعة . وعلى طرف هذه الاكمة الغربي آثار برج قديم هُدم اكثره وعلى الاكمة آثار معاصر قديمة وبقرب البرج على منحدر الاكمة الغربي اشجار من الخروب قديمة العهد اتقينا تحت ظلها حرارة الشمس . ولم يكن بين الخرائب انيس واذا خرجت من زاوية البرج افعى عظيمة لاستقبالنا كأنها تدَّعي مع صغيرها بملك تلك الاطلال فاخلينا لها ربعها منهزمين نحو الطريق

ويجاور هذه الاكمة شرقًا اكمة اخرى بيضوية الشكل اقل ارتفاعًا منها وبينها رهوٌ من الارض يدعوها السكان قلعة ظهر البيدر ولم يبقَ من آثارها سوى مرقى للرتاج منقور في الصخر وهو عبارة عن ٦ درجات . ونقول بقصر الرأي ان هذه الخرائب قديمة تعاقبت في سكناها امم متنوعة جددت بناءها في اطوار متوالية وكانت آخر امَّة عُنيت بترميمها امَّة الفرنج في الجيل الثاني او الثالث عشر . ثم هُدمت على اثر الحروب والزلازل فتبدلت الدار بانسها وحشًا وصارت قاعًا صفصفًا ينمى فيها البوم ليلًا وتقصدها السائمة لكثرة آبارها المتجمعة فيها مياه الامطار الى ان يشتدّ القيظ ولم يَبقَ في الآبار شُفافة فتهجرها القطعان ولا تعود ترى في الغلاطيَّة سوى الزحَّافات والافاعي السامَّة

ثم رمينا بابصارنا لآخر مرة على تلك الخرائب وقلنا نحوها مع الشاعر :

حيِّ ديارًا عا عارفنها طولُ اللى وتَرادُحُ الحقُبِ

ثم اخذنا نتوقل الأكمة المبنيَّة عليها قرية سبلين الواقعة في علوّ ٣٠٠ م تقريبًا فوق سطح البحر على مسافة نحو ساعة ونصف من ساحلها وموقعها جميل تحيط بها السهول الخصبة وتنمو في اراضيها اشجار الزيتون النضرة :

انَّ العروق اذا استرَّ بها الثرى أشرَ النباتُ بها وطاب المزرعُ

وسكان سبلين من المسلمين شركاء آل جانبلاط فاجتزنا القرية يحيينا رجالها ونساؤها تأدباً. والنساء حاسرات الوجوه في هذا الاقليم لا يحتجبن بالخمار وبعد قليل من الزمن وصلنا الى عين ماء غدق غزير ذات سبيل قديم يدعونها عين كترمايا وكترمايا قرية بقربها على اكمة تعلو عن البحر ٣٦٥ متراً ولعلّ الاسم مأخوذ من العين بالتصحيف واصلها كفرمايا (كفر مَحمُل) اي قرية العين او هي (كَمَة حمل) مستنقع الماء. وهذه العين مورد لكثير من القرى المجاورة كالمنية وسبلين وغيرهما. وكان التعب اخذ منّا مأخذهُ ورشح جبيننا بالعرق وذبلت شفتانا ولساننا من العطش فاسترحنا بالقرب من تلك العين ورشفنا ماءها الزلال. ثم استأنفنا المسير واخذنا بالانحدار نحو مسيل ماء شتوي وما زالت تخفضنا ارض وترفعنا ارض حتى دخلنا قرية المنية بعد ثلاث ساعات ونصف مذ فارقنا وادي الزينه وقصدنا بيت خوري الرعيّة فاذا بنا بازاء دار تراكمت امامها الاطلال فاصبحت كدمنة القرية. وكاهن المنية يدعى يوسف القزي وهو شيخ قديم الايام من اقارب الياس شاهين افندي القزي فتحفّى بنا واكرم وفادتنا وفي صباح اليوم الثاني بدأنا مهمتنا في كنيسة القرية القائمة حديثاً على اسم النبي الياس. والموارنة في المنية يبلغ عددهم ١٣٠ نسمة ويتبع هذه الخورنية موارنة المغيرية على بعد ساعة من المنية وموارنة حارة سبلين وكترمايا وعين الاسد والشميس على بعد نصف ساعة من المنية

المنية موقعها على اكمة تعلو عن البحر نحواً من ٤٠٠ متر بين دلهوم وشحيم شرقاً (وهما قريتان كبيرتان يسكنهما المسلمون فقط) وجدرا ووادي الزينه غرباً وعن شمالها الشميس وعين الاسد (سكانها موارنة) ثم برجا وهي قرية قديمة كانت قصبة تلك الناحية كما يدلّ عليها اسمها المعرَّب عن اليونانيَّة (πόλις) وسكانها اليوم من المسلمين وجنوبي المنيَّة سبلين وكترمايا والمغيرية وسنذكرها

واسم المنية حديث وهي منسوبة الى آل معن لانها كانت من املاكهم قديماً ثم اتصلت الى اعيان الدروز من آل نكد ثم الى آل حماده من بعقلين حالياً. والموارنة في المنية شركاء. والبعض منهم اشتروا لهم املاكاً في خارج قرية شحيم. ومركز المنيَّة بديع وفيها آثار قديمة من نواويس ومدافن وآبار مما يدلّ على انها كانت كبيرة آهلة بالسكان قديماً وهي تكشف على معظم قرى الاقليم ويمتدّ النظر منها

حتى اعالي قرى اقليم التفاح جنوباً . فاذا سرّح الواقف على سطوحها النظر نحو الجنوب اشرفت لديه خياشيم جبال عازور وروم ورأى البحر غرباً وانتهى بصره شرقاً حتى تل القنطار المكلل بالاشجار

ولما كانت المزارع التابعة لهذه الخورنية يبعد بعضها عن مركز الرعية حتى مسافة ساعة عمدنا الى زيارة ذاك الشعب في مزارعه وتوزيع خبز الحيوة عليه فاعددنا معدات التقديس وذهبنا الى المغيرية في يوم كانت السماء تطش فيه طشاً خفيفاً حسبناه وداعاً لفصل الشتاء . ودخلنا تلك المزرعة بين سماد البهائم فاقمنا النبيحة الالهية في بيت حقير يصلح لزرب المواشي وانما شاطر البشر السكنى معها لفقرهم فذكرنا ذلك بمذود بيت لحم . وموارنة المغيرية اشتروا سوية مع المسلمين مواطنيهم هذه المزرعة من ملاكيها الاصليين آل جانبلاط والقوم هنا يشتركون في الملابس والعوائد حتى يصعب التمييز بين النصارى والمسلمين . والنساء المسلمات والمسيحيات يلبسن الخلخال ويحجلن الاصابع ويلبسن الكردان في العنق والمسلمات لا يلبسن الخمار ويحيين المارين كما تفعل المسيحيات . وقد مررنا بالقرب من تنور اتفاقاً فوقع نظرنا على نساء يدحين الوقاقة وينضجنها . فدعونا الى الطعام وكنا نظن بانهن مسيحيات فقال لنا رفيقنا : « لا وانما نحن هنا نعيش بوئام ولقد تعاونا واشتركنا سوية في مشترى المزرعة ملكاً لتوتاح من الشراكة » . وتعلو المغيرية عن البحر نحواً من ٣٨٠ متراً وهي واقعة بين مزبود شرقاً (وسكانها اسلام) والجميلية غرباً ثم دير المخلص وحارة جون جنوباً ويفصل بينهما النهر اليابس ودير المخلص على مسافة ساعة من المغيرية . ومساكن اهل المغيرية لا تكاد تصلح لزرب البهائم فوجدناها احقر من مساكن بلاد بشارة وبلاد الشقيف . فالحائط معظمه من اللبن والياع (ولذا يكثر مرد الغبار في الصيف فيؤذي الابصار وتكثر امراض العيون في هذا الاقليم) وبعض الحجارة التي هي اشبه بالحصى . والسقف تسنده بعض اخشاب ركيكة ضئلة ويضاف اليها بعض القصب ولذا قلما يتجرأون على امرار المطالة (المدحلة) على السطوح منعاً لسقوط الوكف فاذا دهمهم المطر عمدوا الى بلانة فرحوا السطح بها سداً للشقوق مخافة ان يدخل الوكف الى البيت ولقد بلينا بمثل هذه الآفة في قرية المغيرية فبينا نحن نائمون آمنون سقط المطر بغتة فاندلف علينا الوكف كالسيل فلجأنا الى زاوية المسكن وتدثرنا

بلحافنا فلم يُجدِنا ذلك نفعاً لان الوكف انساب من القصب وعمَّ البيت فلم تكتحل عيوننا بنعاس طول ذاك الليل وتذكرنا قول الشاعر المصاب بالارق :

طردتُ الكرى عنهُ وقد مال رأسهُ كما مال رشّاف لضيل المرنّحِ

وحبذا لو تمكنا من تعهُّد ذاك الشعب المسكين مرة اخرى وشاطرناه شقاءهُ المادّي مداواةً لشقائهِ الادبي ولقد يحلو لنا تذكّر ما قاسيناه من شظف العيش لان الله العادل يكتب اجرًا لعملة كمهِ . ومن بعد عودتنا من المغيرية امنا مزرعة الشيّس وعين الاسد القائمتين على مسافة نصف ساعة من المغيَّة عن شمالها وهناك فعلنا ما فعلناه في المغيرية وودَّعنا المزرعتين اخذين وجهتنا قرية الدبيَّة

من المغية الى الدبيَّة — خربة هيكل شحيم

كان خروجنا من مزرعة الشيّس في اليوم الثامن من آذار نريد الدبيَّة وذلك في يوم صافي الاديم نسيمهُ عليل وما مضى على مسيرنا ثُلث ساعة واذا بنا بالقرب من خربة قديمة تبعد عن جادَّة الطريق على يمين المسافر الى الدبيَّة نحوًا من ١٠ دقائق فسألنا رفيقنا : وما تلك الاطلال . قال : ندعوها كنيسة شحيم . ففكَّرنا لعلَّها بقايا كنيسة كان ابتناها الصليبيّون فعزمنا على زيارتها فما اشدّ ما كان دهشتنا لمَّا وقفنا امام مدخل فخيم لهيكل عظيم من آثار الرومان . وهاك وصف البناية وموقعها وصورتها (١) :

هذا الاثر في ملك ملحم نجم المسلم من قرية شحيم في وسط الادغال على منحدر تل الفخارة شرقاً وعن جنوبهِ قرية شحيم التي تبعد ربع ساعة فيرى المسافر ربعاً اندثرت بفعل الايام رسومهُ فتبعثرت مبانيهِ ولم تُبقِ الّا على اثر رتاج هيكل بديع الصنعة اوقف افكارنا ولم يرد ذكرهُ على ما نعلم في اسفار المتجولين وهو كما يظهر هيكل فينيقي من العهد الرومانيّ

والبناء عبارة عن كعبة مربعة في طول ١٢ مترًا في مثلها عرضاً ومدخلهُ من

---

١) ان حضرة الاب دي مرتمري رئيس الآباء اليسوعيين في جزّين قد تلطَّف فرافقنا بعد مدَّة في ١٣ من حزيران الى هذه الخربة واخذ صورة رتاج الهيكل بالتصوير الشمسي وقد تكرَّم حضرته فرسم باليد ما لم نتمكَّن من اخذه بالتصوير فلهُ منَّا جزيل الشكر نثبته على صفحات المشرق

الجنوب ولم يبقَ من هذا المدخل سوى قسم من جانبيهِ بطولَ مترين و٦٠ سنتي من موطأ الاقدام فصاعدًا وما تبقى أي العتبة العليا والقوس او الطَّلَق العلوي كما في عرف البنائين قد سقط داخل البناء مع سائر حجارة الجدران (١

وعلى الحجر الاوَّل الباقي من جانب الرتاج على يمين الداخل صورة نصفيَّة ناتئة طولها ٦٠ سنتي وعرضها المتوسط ٤٠ س قد شوَّهت الأيام شيئاً من جمال محياها ورأس الشخص مكلل بالنور فقدَّرنا انَّها تمثل الهَ شمسيًا ورجح انهُ ابولون الروماني

وتحت هذه الصورة النصفيَّة صورة أُخرى بطول ٤٥ س ذهبت الأيام بحسنها فلم نجسر على الجزم بهويتها فاخذنا صورتها الشمسيَّة

ثم يرى الداخل عن شمالهِ على الجانب الآخر من الرتاج على الحجر الاول ايضاً العلوي البالغ طولهُ مترَان و٤٠ س صورة موازية لصورة ابولون القائمة على يمين الداخل على ما لسلفنا تمثل كاهناً مصريًا متشحاً بثوب طويل وهو واقف يمسك بيده الشمال وعاء الدم او ابريقاً وبيده اليمنى شيئاً اشبه بعصا معكوفة. ووجه الكاهن متجه نحو صورة ابولون كأنَّهُ يقرِّب لهُ قرباناً ثم ترى على الحجر الذي يلي صورة الكاهن صورة تشوَّهت بقدم الزمان تمثل شبه المشعل او المحرقة

وعلى مقربة من هذا البناء بناء آخر يقابلهُ وهو على هيئتهِ وسعتهِ وانما رتاجهُ لم يُعدْ لهُ أثر مطلقاً ولم يبقَ منهُ سوى الحائط الجنوبي بطولَ سبعة امتار تقريباً وهو متداعٍ للسقوط واذا لم يكن هذا البناء معبداً آخر على موازاة المعبد الذي سبق لنا وصفهُ اولًا فربما كان مأوى لسدنة الهيكل الشمسيّ. وبين البنايتين مسافة ٣٠ مترًا طولًا تقريباً. وفي هذه الفسحة ترى بقايا عمد ضخمة قد دكَّرها صاحب الملك ملحم

---

١) قد حاولنا مع بعض القرويين الذين كانوا بالقرب من الخربة اتقاناً اقامة عتبة الرتاج العليا الساقطة داخل البناء فذهب تعبنا ادراج الرياح نظرًا لضخامة الحجر لان علوه ٧٥ سنتي في سمك ٧٥ س وطوله نحو ٣ امتار ونيف مطمور قسم منهُ في الارض. والجهة المرسوم عليها عناقيد عنب واكاليل مقلوبة متجهة نحو الارض فلم نتمكَّن من اخذها بالتصوير وانما رأينا بالقرب من هذه العتبة حجرًا بطول متر تقريباً عليهِ نقوش اشبه بصورة هلال وما حولهُ شبه صورة الحيَّة المصريَّة الخرافية المدعوة (ureus) وقسم من جناحيها وعلى حجر آخر بالقرب من هذا تتمَّة الجناح الايسر والحجر الآخر المرسوم عليهِ تتمَّة الجناح الايمن مكسور معظمه (انظر الرسم)

نجم كجدران لحظ القربة على اصول اشجار الزيتون القائم هناك ونظن انهُ كان ثمَّ رواق بين الهيكلين والله اعلم

وبالقرب من الهيكل الشمالي على بعد بعض امتار يوجد نواويس منقورة في الصخر لها اغطية مثلثة الزوايا (en dos d' âne) وحول المعبد من جهة الشرق آثار شتَّى وآبار عديدة تنبئ بوجود دسكرة هناك

واذا سأل سائل فقال : كيف بُني هذا المعبد وامثاله في بلادنا ايام تملُّك الرومان وغيرهم . فنجيبهم انَّ الدين قد شغل في حياة الشعوب مكاناً عظيماً فكان الناس يرون انَّ اكرام القوَّة العلويَّة التي بها يتوسط وجدانهم يستدعي تعظيمها بالابنية الفخيمة التي تمثل جلالها نوعاً . وكان ارباب السلطة ينعشون تلك الشواعر في قلوب مرؤوسيهم فيتفقون معهم على تشييد تلك المعابد الجليلة وينفقون عليها المبالغ الطائلة وربَّما كانوا يكرهون الاهلين على السخرة والضرائب ليُنجزوا اعمالها الجبَّاريَّة وهم يتحققون بانهم اذا انعشوا روح الدين في صدور العامَّة وجدوهم خانعين خاضعين لسلطانهم

واطلنا التجوال بين تلك الخرائب حتَّى انَّ رفيقنا سئم من اطالتنا وظنَّ اننا نفتش على دفائنها وكنوزها واننا نحكم الطلاسم فانتحينا جادَّة الطريق وواصلنا السير الى الدبَّيَّة موعد رسالتنا فوردنا بعد ساعة ونصف من مغادرتنا معبد شحيم وسط قرية البرجين وهي قرية اشتراها ايضاً الموارنة والمسلمون من آل جنبلاط وعدد الموارنة فيها يبلغ ٤٠ متكلفاً (كما في عرفهم) ولا معبد لهم وانما يتبعون رعيَّة الدبيَّة غير اننا زرناهم بعد مدة ووزعنا عليهم الاسرار في احد البيوت . والبرجين سميت كذلك من برجين شيَّدهما هناك الصليبيُّون لم تزل آثارهما قائمة حتَّى الآن وقد استخدم السكَّان معظم حجارتها لبناء بيوتهم الحاليَّة

وبعد ربع ساعة من الزمن دخلنا قرية الدبَّيَّة ونزلنا ضيوفاً على حضرة الاب الفاضل الخوري بولس البستاني خادم الرعيَّة احد تلامذة المدرسة المارونيَّة في رومية فاستقبلنا مع ذويه بغاية الاكرام وتحفَّوا بنا

وعند الصباح في التاسع من آذار عيد الاربعين شهيداً افتتحنا الرياضة في كنيسة القرية المشيدة على اسم القديس يوسف البتول (١ ويتبع خورنية الدبيَّة عدَّة مزارع

١) على عتبة هذه الكنيسة التاريخان الآتيان الاول باحرف سريانيَّة جاء في احد حقليه

تبعد عنها مسافة ساعة تقريباً وهي بشمرا والخريبة وبكشتين وبشلي والبرجين ومرج برجا والهليونة والبقيعة وبقعون وشمعرين وظهر المغارة والفسقانيَّة والزوانيه والدلهميَّة وعدد المتوفين في هذه المزارع نحو ٢٠٠ تقريباً

(الدبيَّة وموقعها وسكانها) تعلو الدبيَّة عن البحر نحوًا من ٧٠٠ متر وهي بين بكشتين شرقاً يكللها غاب من الارز البري والهليونة غرباً والبرجين جنوباً ومراح الطيت شمالًا واسمها الاصلي وكر الدُّبَّة. روى لنا احد شيوخ عائلة البستاني ان جد فرع هذه العائلة الموجود الآن في الدبيَّة (واصل العائلة من بقرقاشا) اتى فسكن اوَّلًا قرية الدلهميَّة من اقليم الخروب القائمة على ضفة نهر الدامور الجنوبيَّة على بعد ساعة من الدبيَّة شمالًا. وكان شريكاً لعائلة درغم الدرزية من دروز دير القمر فاشتغل عند الشيخ مزارعةً (كما في عرفهم) ثمَّ عمد الى المقاسمة فقدَّم الدروز لهُ ولاولاده محلًّا غاباً يُدعى «وكر الدبه» فاستوطنوه وبنوا فيه القرية الحاليَّة وتكاثروا الى يومنا ومعظم القرية من عائلة البستاني والمستقرون في الدُّبية عبارة عن ٢٠٠ معترف والمهاجرون نحوًا من ١٥٠ نسمة ولا حاجة لبيان ما خصَّ الله به هذه العائلة من رجال العلم والحنكة والدربة فقد نبغ من الدبيَّة اسقفان جليلان ذكرهما يملأ الافواه مدحاً. ومن الدبيه نشأ سليمان افندي البستاني عضو مجلس الاعيان ولهُ دار بديعة البناء على اكمة بكشتين القائمة شرقيَّ الدبيَّة على مسافة نصف او ثلث ساعة منها

وكان الاقبال على استماع المواعظ عظيما وانما عزَّ علينا ان نرى في الدبيَّة مدرسة

ما نقلهُ الخوري: «باسم الاب والابن والروح القدس امين لله لا لسواه هذا المكان بناه باسم يسوع ومريم ومار يوسف القس سمعان راجي عفو مولاه سنة ١٧٥٣ مسيحية». وفي الحقل الثاني بالحرف عربيَّة: «كنيستنا تبهي العقول بكل رونق جميل. بتاريخها أمدح بتول زين البريَّه. في زمان البطرك مار سمعان بطرس (عوَّاد) والمطران جبرايل والقس سلطان البستاني راجي ممَّن وقف على هذه السطور يصلي ابونا وسلام سنة ١٧٥٣». ثم يلي ذلك صحيفة أخرى مربَّعة الشكل وعليها تاريخ توسيع هذه الكنيسة التي ربَّما كانت الوحيدة في تلك النواحي. «في ايَّام رياسة البطرك يوحنا الحلو وسِّعنا هذا المكان الذي بناه المرحوم الخوري سمعان وكان الساعين (كذا) بذلك كافةً الخوري يوسف والخوري عبدالله و والخوري عبدالله (البستاني) هو الذي صار فيما بعد اسقفاً على ابرشية صور وصيدا» (اطلب المشرق ٨: ١٥٢)

للبروتستان قديمة العهد سعى بانشائها المعلم بطرس البستاني ولا مدرسة كاثوليكيَّة تناوئها. نعم اننا نعلم انهُ لم ينحز الى مذهب لوتيروس الَّا العدد القليل من اهلها وانَّا لا يزال الخطر يتهدَّد ايمان الاحداث فعسى ان يتدارك بالرؤساء هذا الامر بعنايتهم

واتفق انهُ في اليوم الخامس عشر من آذار سنة ١٩١٠ بينما كان الخواجه داوود حنا شاهين من الدبية يشتغل في املاكهِ في مزرعة الهليونة اذ عثر على آثار قديمة. وكتابة يونانيَّة فحدا بنا حب البحث الى الذهاب لهذه المزرعة لنشاهد بامّ العين ما رواه لنا

الهليونة على مسافة نصف ساعة غربيّ الدّبية موقعها على بطحاء بين وادي بقعون شمالًا ودير الصفا او نهر الصفا جنوباً تعلو عن البحر نحوًا من ٥٠٠ متر وفيها آثار احجار رحى قديمة من الحجار الحورانيَّة البركانيَّة وآبار وخرائب كثيرة وبينها آثار معبد وجدت فيهِ قطعة من عمود الرخام البيض طولهُ ٣٦ س ومحيطهُ ٤٥ س والكتابة عبارة عن ثلاثة اسطر عرض السطر ١٣ س وهو عرض قاعدة العامود السفلى وهاكها بحرفيتها:

ΗΑΑΡΟΥΝΑ
ΧΡΗΣΤΕ ΚΑΙ
ΑΛΥΠΕ ΧΑΙΡΕ

فهذه الكتابة هي لضريح ميت في سطرها الاول اسمهُ وقد سقط اوَّلهُ وآخرهُ فبقي « آرو » ولعلهُ « عرو » وهو اسم ساميّ. والسطران الاخيران تأسف وسلام على الميت. ولا شيء في هذا الاثر يدلُّ على نصرانيَّة صاحبهِ

امَّا اسم الهليونة المطلق على هذه الخرائب فلم نتحقَّقهُ ولعلَّهُ مشتقّ من لفظة (Ελαια) بمعنى القسام او الحيّ اليونانيّ لوجود بعض مستعمري اليونان في هذا المكان

وكان في عزمنا مواصلة مهمَّتنا الروحيَّة في الدّبيَّة وجوارها لولا نبأ فاجع ورد علينا من القاهرة اضطرَّنا الى ان نتوجَّه الى بكاسين وذلك انهُ بلغنا خبر وفاة شقيقنا العزيز سليم مخائيل حرفوش توفَّاه الله في مصر في ١٢ آذار دون ان يترك من بعدهِ نسلًا فانقطع بوفاتهِ فرع بيتنا فأثَّر فينا هذا الخبر تكتنا سأمنا الارادة للريب...

الذي يحيي ويميت كما يشاء. وذهبنا الى مستقط رأسنا لنقيم مأتماً للفقيد بين الاقارب والاصحاب. وليسمح لنا القارئ ان نقطع هنا اخبار سياحتنا ونؤجل الى عدد آخر تفصيل رحلتنا الى الشوف والبقاع الغربي ان شاء الله

تجربة ابليس للمخلص

شرح كتابي لاهوتي

(متى ٤ : ١—١٢ ولوقا ٤ : ١—١٣ ومرقس ١ : ١٢—١٣)

للاب انطون رباط اليسوعي

طلب الينا احد الادباء ان نشرح ما جاء في الانجيل الطاهر عن تجربة ابليس للمخلص ونجيب على استعلامات في شأنها عَرَضَها علينا. فلبَّينا الطلب:

﴿ الظروف ﴾ بعد ان عاش ابن الله المتجسد عيشة خفيَّة مدَّة ثلاثين سنة افتتح حياتهُ العموميَّة فجاء الى يوحنا الصابغ ليعتمد فيتمّ بذلك كلَّ بر. ولمَّا اعتمد انفتحت لهُ السموات ورأى روح الله نازلاً مثل حمامة وحالاً عليهِ واذا صوت من السماء قائلاً: هذا هو ابني الحبيب الذي بهِ سُررتُ

ثم قال المبشر ما خلاصتهُ: خرج يسوع الى البريَّة فصام اربعين يوماً واربعين ليلة واخيراً جاع. فدنا اليهِ المجرّب قائلاً: ان كنت ابن الله فمُرْ ان تصير هذه الحجارة خبزاً. فدحض يسوع التجربة بكلام الكتاب. حينئذٍ اخذهُ ابليس الى المدينة المقدسة واقامهُ على جناح الهيكل وقال لهُ: ان كنت ابن الله فألقِ بنفسك الى اسفل. واذ لم ينجح الثلاث بتجربتيهِ اخذ الربَّ ايضاً الى جبل عالٍ واراه جميع ممالك العالم ومجدها وقال لهُ: اعطيك هذه كلها ان خررت ساجداً لي. حينئذٍ قال لهُ يسوع: اذهب عني يا شيطان فانهُ قد كُتب: للرب الهك تسجد واياه وحده تعبد. حينئذٍ تركهُ ابليس واذا ملائكة جاءت فصارت تخدمهُ

هذه اهمّ فِقَر النصّ الانجيلي نقلناها عن متى الرسول ولا يكاد يختلف عنها نصّ لوقا يشيء سوى تقديم التجربة الثالثة على الثانية. اما مرقس فقد اوجز ملخصاً الخبر بقولهِ: انهُ كان « يُجرَّب من الشيطان وكانت الملائكة تخدمهُ ». ولم يذكر كيف كانت التجارب وما هي ظروفها